

عن عظمته : ذلك لأنني أنكرت على شكسبير وملتون لقب الكلاسيكيين بالمعنى الذي كنت أستعمل به المصطلح خلال الحديث ، وسلّمت مع ذلك بأنه لم يكتب ، منذ ذلك الوقت ، شعر عظيم بصورة فائقة من النوع ذاته . أما أن كل عمل عظيم في الشعر يتجه إلى أن يجعل من المستحيل إنتاج أعمال مساوية له في العظمة ، ومن النوع ذاته ، فذلك أمر لا جدال فيه . ويمكن أن نقرّر السبب جزئياً بمصطلحات الغاية الشعورية : فما من شاعر من شعراء الدرجة الأولى يمكن أن يحاول أن يؤدي مرة ثانية ما قد تم أدائه على أفضل وجه يمكن عمله به في لغته . ولا يمكن أن يغدو شاعر مسرحي آخر بمثل عظمة شكسبير ، أو شاعر ملحمي آخر بمثل عظمة ملتون ، ممكّنين إلا بعد أن تكون اللغة قد تغيّرت بدرجة كافية مع الزمن ومع التغيّر الاجتماعي — وأعني باللغة إيقاعها ، وهو شيء أكثر من المفردات وبنية الجملة . ذلك أن من يحقق ، مرةً وإلى الأبد ، بعض إمكانات اللغة ، وينقّصُ ، على هذا النحو ، إمكاناً واحداً مما تُرك خلفائه ، ليس هو كل شاعر عظيم فحسب ، بل كل شاعر أصيل ، وإن كان شاعراً أقل شأنًا . وقد يكون العرق الذي استهلكه صغيراً جداً ، وقد يمثل شكلاً رئيسياً من أشكال الشعر ، الملحمي أو المسرحي ، ولكن ما استهلكه الشاعر ليس إلا شكلاً واحداً ، وليس اللغة بأسرها . وعندما يكون الشاعر العظيم شاعراً عظيماً كلاسيكياً أيضاً فإنه لا يستهلك شكلاً واحداً فحسب ، بل يستهلك لغة عصره . وسوف تكون لغة عصره ، كما استعملت من قبله هي اللغة في كمالها ، بحيث أن الشاعر لا يكون هو وحده الذي يجب إدخاله في الحساب ، بل اللغة التي يكتب بها أيضاً . ولا تقتصر المسألة على أن الشاعر الكلاسيكي يستهلك اللغة ، بل إن اللغة القابلة للاستهلاك هي من النوع الذي يمكن أن يخرج شاعراً كلاسيكياً .

وقد نميل عندئذ إلى أن نتساءل قائلين : ألسنا أولي حظ عظيم في امتلاك لغة تستطيع أن تفخر بالتنوّع الغنيّ في الماضي ، وإمكانية مزيد من التجدد في المستقبل ، بدلاً من إخراج الكلاسيكي . والآن ، ونحن في داخل أدب معين ،